أهمية بر الوالدين في الإسلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد عظم الله سبحانه وتعالى حق الوالدين، وأوجب برهما وطاعتهما، والإحسان إليها. وأكد ذلك بأن قرن حقه الواجب له وهو عبادته وحده دون سواه بحقهما في كثير من الآيات؛ وذلك لما بينهما من تلازم وارتباط، إذ لا تكفي العبادة مع العقوق، ولا يغني الإحسان مع الشرك بالله؛ لأن من دواعي عبادة الله وحده امتثال أوامره وطاعته، والعقوق عصيان واستكبار فهو خارج عن طبيعة العبادة ومعناها.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا**

لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ﴾ [لقمان: ١٤ – ١٥].

وفي رواية للبخاري ومسلم وغيرهما عن عبدالله بن مسعود قال: سألت النبي ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها» قلت: ثم أي؟ قال: «بر الولدين» قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قال: حدثني بهن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادني.

وروى أبو هريرة قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك». هكذا رواه مسلم في الجامع الصحيح، وزاد فيه: «ثم أبوك، ثم أدناك أدناك».

وعن عبدالله بن عمرو قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فاستأذن في الجهاد فقال: أحيٌّ والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد».

وفي صحيح مسلم أن رجلاً أقبل إلى نبي الله عليه الصلاة والسلام فقال: «أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله. قال: فهل من والديك أحد حيٌّ؟ قال: نعم، بل كلاهما. قال: فتبتغي الأجر من الله؟ قال: نعم. قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»، ويروى: «ففيهما فجاهد».

والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الصحيحة الشريفة في هذا المعنى

كثيرة – لا يتسع المقام هنا لذكرها كلها – تبين حق الوالدين على الولد من وجوب برهما والإحسان إليهما قولاً وفعلاً بالمال والبدن، وامتثال أمرهما في غير معصية الله تعالى، وتليين القول وبسط الوجه لهما، والقيام بخدمتهما على الوجه اللائق بهما، وعدم الضجر منهما عند الكبر والمرض والضعف. فالولد غراس الوالدين ونتاجهما وهما سبب وجوده وسعادته.

إذاً فلابد في حياتهما من أن يؤثر الولد رضا والديه على رضا نفسه وزوجته وأولاده والناس أجمعين، وأن يطيعهما في كل ما يأمران به وينهيان عنه سواء وافق رغباته أم لم يوافقها ما لم يأمراه بمعصية الله تعالى. وأن يقدم لهما كل ما يلحظ أنهما يرغبان فيه من غير أن يطلباه منه عن طيب نفس وسرور، مع شعور بتقصيره في حقهما ولو بذل لهما دمه وماله ؛ فالنفقة عليهما من واجبات الولد لهما.

وليس البر بالوالدين والإحسان إليهما وطاعتهما وإكرامهما في حياتهما فقط، بل على الولد أن يذكر معروفهما وأياديهما بالشكر والثناء والدعاء والاستغفار، وطلب الرحمة لهما بعد موتهما حيث تنقطع أعمالهما عن الدنيا فلا يتزودان بأكثر مما قدما إلا بما يهبه الولد لهما من دعاء ونحوه، يقول تعالى: ﴿ **وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا** ﴾ [الإسراء: ٢٤].

وأخرج مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع

عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

ومن برهما أيضاً بعد موتهما بالإضافة إلى الدعاء والاستغفار لهما وطلب الرحمة إنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما.

فعن مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال: بينما أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله هل بقي علي من بر أبوي شيء أبرهما بعد موتهما؟ قال: نعم. خصال أربع: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلها، فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما» رواه أحمد وأبو داود وغيرهما.

وروى ابن عمر قال: «إن أبر البر صلة المرء أهل ود أبيه بعد أن يولي» أخرجه مسلم.

وقد أثنى الله تعالى على كثير من أنبيائه، وخص بالذكر منهم يحيى عليه السلام لبره بوالديه على كبر سنهما. والبر في وقت الحاجة أعظم منه في غيره، والحاجة لا تتحقق إلا في وقت الشيخوخة والضعف في الغالب، قال تعالى: ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [مريم: ١٤]. وأطرى سبحانه عيسى عليه السلام لتفانيه في خدمة أمه واعتزازه ببرها واعترافه بفضلها وخفض الجناح لها.

﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴾ [مريم: ٣٢].

وضرب سبحانه مثلاً للبر بالأب بإسماعيل عليه السلام حين قال له أبوه: إبراهيم عليه السلام: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾ [الصافات: ١٠٢]. فأجابه قال: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢].

ومما لا شك فيه أن الحياة دين ووفاء، وكما تدين تدان. فمن بر والديه بره أبناؤه، قال عليه الصلاة والسلام: «عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم» الحديث.

وبر الوالدين من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، وسبب في تفريج الكروب وذهاب الهموم والأحزان؛ دليل ذلك قصة الثلاثة الذين آووا إلى الغار حينما أتاهم المطر فانطبقت على فم الغار صخرة، فدعوا الله بأعمالهم الصالحة، ومنها أن واحداً منهم كان باراً بوالديه، ويسقيهما من الحليب قبل صبيته... الحديث، والقصة معروفة، ذكرها البخاري وغيره.

والولد البار يهنأ بعمره، ويطمئن في عمله، وتحفه السعادة من كل جانب. وقد بشر الرسول عليه الصلاة والسلام الولد البار بطول العمر، فقال فيما رواه عنه معاذ بن أنس رضي الله عنه: «من بر والديه طوبى له، زاد الله في عمره» رواه أبو يعلى والطبراني والحاكم، وقال في الترغيب والترهيب: صحيح الإسناد.

فمن قُدر عليه رزقه، وضاقت به سبل العيش، وخشي قصر العمر فقد وصف له النبي ﷺ العلاج الشافي، فقال فيما رواه عنه أنس رضي الله عنه: «من سره أن يمد له في عمره، ويزاد له في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه».

كما أن بر الوالدين سبب السعادة – أيضاً – في الآخرة بدخول الجنة، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله ما حق الوالدين على ولدهما؟ فقال: «هما جنتك ونارك» رواه ابن ماجة.

فهذه الأحاديث ونحوها تبين أهمية بر الوالدين وعلاقته بصلة الرحم التي أمر الله أن توصل، وما ينتج عن ذلك من ترابط للأسرة، ومن ثم للمجتمع العام ككل. فإن للقريب الذي يتصل بك في القرابة كالأخ والعم والخال وأولادهم وكل من ينتمي إليك بصلة حق هذه القرابة بحسب قربه؛ قال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ [الإسراء: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النساء: ٣٦].

فيجب على كل قريب أن يصل قريبه بالمعروف ببذل الجاه والنفع البدني والنفع المالي بحسب ما تتطلبه قوة القرابة والحاجة، وهذا ما يقتضيه الشرع والعقل والفطرة.

والنصوص في الحث على صلة الرحم – وهو القريب – والترغيب في ذلك كثيرة، ففي الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن الله

خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. فقال الله: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذلك لك. ثم قال رسول الله ﷺ: «إقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٢ – ٢٣]».

وقال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه». والأحاديث بهذا المعنى كثيرة جداً.

فالواصل لرحمه يصله الله في الدنيا والآخرة، فيمده بالرحمة، وييسير له الأمور، ويفرج عنه الكربات؛ مع ما في صلة الرحم من تقارب الأسرة وتوادهم، وحنوّ بعضهم على بعض، ومعاونة بعضهم بعضاً في الشدائد، والسرور والبهجة الحاصلة بذلك مما يكون له الأثر الجيد في المجتمع بصفة عامة؛ إذ يتكون المجتمع المترابط الكائن كالجسد الواحد.

وبعكس البر – والعياذ بالله – العقوق، وهو حرام وظلم عظيم، يحرم الجنة على صاحبه.

فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد المنبر ثم قال: «آمين، آمين، آمين. قيل: يا رسول الله علام أمنت؟ قال: أتاني جبريل فقال: يا محمد رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك، قل: آمين. فقلت: آمين. ثم قال: رغم

أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له ، قل : آمين. فقلت : آمين. ثم قال : رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة ، قل : آمين. فقلت : آمين».

وعن عبدالله بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين»... الحديث.

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تبين عظم كبيرة العقوق.

هذا ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا الثبات على الحق ، والتوفيق لما يحبه ويرضاه من الأقوال والأفعال إنه خير مسؤول.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

